

خطة لتربية الجيل الإسلامي على ثقافة القوة والمقاومة والعزة

خطة لتربية الجيل الإسلامي على ثقافة القوة والمقاومة والعزة

د. المرتضى بن زيد المَحَطُّوَرِي الحَسَنِي ([1])

مؤسس ومدير مركز بدر العلمي

أستاذ الشريعة بجامعة صنعاء - اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، لكني بلسان العجز والتقصير أقول:
الحمد لله عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

والصلاة والسلام على أكرم مولود، وأزكى وأنجب موجود، المبعوث للعالمين رحمة، وللجن والإنس نعمة،
محمد الأمين، وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فإني أعبّر أولاً عن سعادتي بالدعوة الكريمة، وامتناني للشيخ الرباني الذي نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، ووهب حياته لإصلاح ذات البين؛ يعيش في الهواء أكثر من عيشه في الأرض؛ يجوب الدنيا شرقاً وغرباً محاولاً تقريب وجهات نظر المختلفين، وردم الفجوات بين المتباعدين، بروح فياضة بالحب، ونفس جياشة بالأمل، وقلب مفعم بالرحمة والشفقة لعباد الله، ذلكم هو العالم العامل آية الله محمد بن علي التسخيري رئيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب حفظه الله تعالى.

والتحية والإجلال لمن يصدق عليهم: رجال! للشعب الإيراني المجاهد، وإمامه الماجد المجاهد رضوان الله عليه، وأخص بالتحية أعضاء المجمع داخل إيران وخارجها، راجياً أن تتقبلوا مشاركتي، متغاضين عن ركافة تعبيرتي، ووضوح عجزتي وتقصيري؛ كما هو شأن أهل المروءة والحلم والكرم؛ ولا سيما وقد استفحل الشر، وتفاقم في دنيا المسلمين الخطر، فلم نعد ندري أي حريق نخمد، أو أي جرح نضمد!! «كلما داويت جرحاً سال جرح».

ولا أدل على ذلك من وفرة العناوين في ورقة المحاور

وقد آثرت الكتابة حول العنوان الأخير(خطة لتربية الجيل الإسلامي على ثقافة القوة والمقاومة والعزة)؛ فهو شامل لكل ما سبق، فلو أن الإنسان المسلم تربى على ثقافة الولاء المطلق لرب العالمين، وارتبط بصاحب العزة والحوار والطول، واحتذى حذو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي اختاره الله علماء للخلق، وعنواناً للإنسان الكامل. وحين نتمكن من القرب من مواقف خاتم الرسل، ونطبق سيرته سنجد أننا سنستعصي على كثير من مؤامرات الأعداء التي ترمي إلى تدمير الأمة الإسلامية بكل الوسائل، وأنا غير قابلين للاستعمار ولا للاستحمار. وأنا لا أطمع في تحول الأمة الإسلامية قاطبة إلى صخرة صماء تتكسر عليها قرون أعداء الإسلام من داخله ومن خارجه؛ فهذا ما لا يكون إلا في عالم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أما عالم البشر فزاهر بالخير والشر، ولم يسلم مجتمع المسلمين في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من يهود خطرين، ومن منافقين أخطر منهم؛ لأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر؛ فنخروا جسد المسلمين من داخله، وعاثوا فسادا في أحشائه، ومن كان سيصدق أن عربا أقحاحا ينضمون إلى اليهود ضد نبي عربي، كريم، جاءهم بدين العزة والكرامة والسيادة العالمية، والوعد بأن يكونوا ملوك الجنة - إن هم رفعوا راية التوحيد والعدل، والمساواة، والحرية، ومقارعة الظالمين؟!

لكننا نريد وضع خطة نتكاتف في تنفيذها، ونتعاضد، ونتعاون، ونتناصح؛ لكي نخرج للأمة قادة من نجائتها، وأحرارا أبطالا من أختيارها، وأقترح لهذا الغرض الخطة التالية:-

أولا: اعتماد القرآن الكريم منهجا مباشرا بعيدا عن تأثير الأفكار المختلفة في تفسيره، والآراء المتضاربة في تأويله؛ فهو بحفظ الله له قادر على صياغة المسلم صياغة ربانية، وهو كفيل بربط المؤمنين بالله ربطا يجعلهم لا يقدرّون على رضاه أبأ ولا أما، ولا يبذلون مودتهم إلا لمن وإلى الله، ولا ينقادون إلا لمن عمل بطاعته، تالين قول ربهم: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة: 22].

فالمؤمنون بالله سبحانه إيماننا راسخا كإيمانهم بوجود الشمس، وثقتهم بالقرآن الكريم ثقة مطلقة كثقة الطفل بأمه، لا يتزحزون عن هَدْيِ هذه الآية، ولا يندفعون بالروايات المصادمة للقرآن؛ مثل ما روي أن النبي صانه الله قال في شأن الولاية: «أطيعوهم ما أقاموا فيكم الصلاة» [2].

يعني أن لا حرج على الأمة من الخضوع للوالي وامتنثال أمره حتى وإن شرب الخمر، وارتكب الفواحش؛ من الزنى، واللواط، وأخذ الأموال من الحرام، واستأثر بمال المسلمين لنفسه، وإحياء شهواته، وغرق في المنكرات إلى أذنيه، فهذا واجب الطاعة حسب مدلول الرواية ما أقام الصلاة، المهم أن يتظاهر بأداء الصلاة، وربما يكون حال الصلاة سكرانا كالوليد بن عقبة ([3])، أو يكون بغير وضوء، أو على جنابة. وفي رواية: «إلا أن تروا كفرا بواحا». ولست أدري أي صلاة هذه التي أُمرَ نَـا أن نطيع الولاة لأجلها؟! هل هي الصلاة التي قال ﷻ عنها: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْذِرُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)؟!

أليس قتل الأبرياء من المنكرات؟! أليس سجن الناس ظلما من الكبائر؟! أليس أخذ الرشوة من المعاصي التي لعن ﷻ مرتكبيها؟! أليس التعامل بالربى مما آذن ﷻ بالحرب عليه؟! أليس الكذب مجانب للإيمان؟! أليس نهب المال العام والخاص من قبل الحكام الظالمين من الفواحش والمنكرات التي لا أفحش ولا أنكر منها؟!

فما معنى أقاموا فيكم الصلاة؟! لو أنهم اخترعوا آية خاصة بالصلاة التي يقيمها الولاة والحكام وقالوا: إن صلاتهم تأمر بالفحشاء والمنكر فمتى حافظوا على إقامتها فقد وجبت طاعتهم؛ لأنها دليل على إخلاصهم في أداء المعاصي، ونشاطهم الفائق في أذية عباد ﷻ، وإهانة مقدسات المسلمين، وإهدار حقوقهم وإسهامهم في استفحال الظلم وسيطرة الأقوياء.

فساد القضاء فسادا تاما، ولو افترضنا وجود قضاءٍ نزيه؛ فإن التطويل يجعل المظلوم لا يصل إلى حقه إلا بعد سنوات وقد خسر أضعاف أضعاف حقه - وربما مات وغصته في حلقه - أما أن يكون خصمه الأمير، أو الوزير، أو الضابط، أو شيخ القبيلة، أو حتى مجرد مُخَدِّرٍ فالشمس أبعد عليه من الوصول إلى حقه، فهل يجوز لإنسان لديه ذرة من كرامة أن يصدق رواية توجب طاعة ولاة الأمر وهم بهذه الوحشية والقباحة؟!

وقد عَضَدَ علماء السلطة ما تقدم من الروايات بروايات أخرى مثل روايتهم أن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) - وصانه - قال: «يكون من بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين من جثمان إنس» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»([4]).

ورواية أخرى: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعون حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثالثة، فقال: «اسمعوا وأطيعوا فإن عليه ما حمل وعليكم ما حملتم»([5]).

وما روي عن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)): «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سَلِمَ، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»([6]).

وما روي أيضا: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «خِيَارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ تَحْرِيصُونَهُمْ وَيُحْرِيصُونَكُمْ وَيُصَلِّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلِّونَ عَلَيْهِمْ وَشَرَّارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قيل يا رسول الله أفلأ نقاتلهم؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ولا يذار رأيهم من ولا تركم شيئا تكروه هوناه فأكروه هوناه ولا تذر عؤا يدا من طاعة»([7]).

وما روي أيضا: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية»([8]).

وما روي أيضا: عن عبادة بن الصامت، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرةً أو بواغًا عندكم من أهل برهان»([9]).

وما روي أيضا: عن عبادة بن وهب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ستكون أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم»([10]).

وما من شك أنها روايات خرجت من مطبخ ملوك بني أمية، وهل يعقل أن يتفوه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي قاد المهاجرين والأنصار وقارع الأَسْوَِد والأحمر من أجل الحرية، والكرامة، والعدل، ورفع شأن الإنسان الذي كرمه الله؛ ليكون عبداً لله وحده وليس للظالمين المستبدين- بروايات كهذه تحت على الذل والهوان؟!.

ولا يجوز لإمام المجاهدين الأحرار، وخاتم الرسل أن يقول كلاما يُدجن به الأبطال، ويطأطأ هامات الرجال، بل قال لهم ولأمتهم إلى يوم القيامة: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»([11]).

وما روي عن زيد بن علي (عليه السلام)، عن آبائه، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «لا قدست أمة لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر، ولا تأخذ على يد ظالم، ولا تعين المحسن، ولا ترد المسيء عن إساءته»([12]).

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يحل لعين ترى منكرا فتطرف حتى تغيره أو تنتقل»([13]).

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «سيد الشهداء حمزة ورجل قال لسلطان ظالم: يا ظالم فقتله»([14]).

وقال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» أو «أمير جائر»([15]).

وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»([16]).

فهذه هي الروايات المطابقة للقرآن الكريم، والمؤجَّهه لكل مسلم أن يكون شجاعا حرا لا يخاف إلا الله، ولا يعطي قياده إلا لأولياء الله، الرحماء بعباد الله، المطبقين لشرع الله على أنفسهم وأقاربهم قبل غيرهم.

إن ثقافة القرآن العزيز تغرس في النفوس محبة أولياء الله، وكرهية أولياء الشيطان، قال تعالى:
(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعَضُهُمْ أَبْوَءٌ وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ) [التوبة: 71].

(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْتُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [التوبة: 67].

إن التجدين والتركيح واستذلال المسلمين- إنما جاء من مدرسة المُلْك العضوض الذي اتخذ مالًا دُوَلًا، وعبادًا خَوَلًا، واستأجروا تجار الحديث، وعُبيدًا الدنيا؛ فأكثرُوا من الروايات في وجوب طاعة ولي الأمر، وتحريم شق عصي المسلمين، ومفارقة الجماعة، ووجوب الصبر والرضى بالظلم؛ لأن الوالي حسب زعمهم نائب عن الله سبحانه وتعالى، وهو ظل الله في الأرض، وتَوَلَّى بِهِ أَمْرَ الْأُمَّةِ إنما هو بقضاء الله وقدره؛ فإن أعطى فبقضاء الله، وإن منع فبقضاء الله وقدره، فهو حسب هذا المنطق متشبه برب العزة جل وعلا، (لا يسئل عما يفعل)، ولم يبق إلا إن يأتوا برواية تقول: إن الآية الشريفة: (قُلِ اللَّاهُكُمْ مَالِكُ الْمُلُوكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِرِيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران:26]- تنطبق على الولاة الظالمين مع الله عز وجل، تعالى الله عما يفترون علوا كبيرا. وما نقوله واقع ملموس في عالم الطغاة، ومطبق من الألف إلى الياء في دنيا الاستبداد، فالأرض ومن عليها بمثابة ملك شخصي، وأدهى من ذلك أن الطغيان قد أحيط بإيمان من العوام والمخدوعين؛ إذ قالوا لهم: لا يتم إيمانكم إلا بالرضى بالقدر، والصبر على البلاء؛ وما على المؤمنين سوى الصبر على الظلم، والذل، والكبت، والاستبداد، والقبول بولاية العهد ولو لطفل رضيع، أو حَمَلٍ في بطن أمه؛ لئلا تصيع الأمة التي لم تبلغ سن الرشده حسب سياسة المستبدين؛ ولكي لا تبقى كالغنم بلا راعٍ بمنطق الظالمين المتجبرين- أعني بلا ذنب مفترس، أو تمساح شرس.

إن الذي يرضى بولاية ماجن فاسق ظالم ويسميه أمير المؤمنين، أو خليفة رب العالمين، أو ولي أمر المسلمين، ويدعو له في كل أوان وحين- إنما هو نعجة بشرية، ودابة آدمية لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحترم القرآن الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت:42] الذي حملت نصوصه القاطعة الساطعة ما يكذب الروايات الباطلة، والأحاديث التي يُراد بها الاستخفاف بعقول الناس، وامتهان كرامتهم، وهاهي نصوص القرآن تقول لنا: (إِنَّمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِمْ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَالْأَخْشَاءُ نَبِيٌّ وَلَا تَشْتَروا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)* وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ الْفَاسِقَةَ وَالنَّفْسَ الْوَالِعِينَ

بِاللَّعِينِ وَالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ وَالْأُذُنِ وَالسِّنِّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحِ فِصَاصٌ
 فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
 مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّا يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ
 وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّا يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ*
 وَلَيَحْكُمَنَّ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
 مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّا يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بِيْنَهُمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ
 جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَاكُمْ
 أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ
 مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ* وَأَنْ
 يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ
 يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاءَلَمْ
 أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ
 أَنْ يَصِيبَهُمْ بِيَعُضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
 لَفَاسِقُونَ* أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ* وَاللَّهُ
 لَيَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ
 يُوقِنُونَ) [المائدة: 44-50].

فهل الفاسقُ الظالمُ الكافرُ يُؤالَى، أو يطاع، أو يُسكَّتُ عن فسقه وظلمه وكفره؟! حاشا وكلا.
 (لَا يَتَذَكَّرُ الْمُؤْمِنُونَ وَمِنُوكَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً
 وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [آل عمران: 28].

لكن مطابخ ملوك الظلم، وولاية الجور- قد قدمت وجبات شهية صبغت بالسم والعسل، وهوَّنت من شأن
 ارتكاب الكبائر، وطبخت في ذلك روايات مزقت القرآن إربا إربا، واعتقدتها المرجئة والمجيرة والعامّة.

فالمرجئة هم الذين يعتقدون أن العصاة مهما بالغوا في العصيان فيرجى لهم الجنة؛ ولا سيما وقد تكفل بعض المحدثين برواية قيل: إنها صحيحة وهي: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى، وإن سرق، قال الرواي وهو أبو ذر -صانه الله-: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق - كررها ثلاثا- وفي الثالثة، قال: على رغم أنف أبي ذر. وفي رواية: على رغم أنف أبي الدرداء!!».

وهذه رواية مناسبة ومتناغمة لمن تأملها مع رواية: «أطع الأمير وإن جلد طهرتك، وأخذ مالك؟! لأن الجلد انتهاك للعرض، وأخذ المال انتهاك للمال المحرم، ولم يتجرأ الرواي على القول: أطع الأمير وإن نكح امرأتك، وأخذ مالك فاستبدلها بالجلد والصفع.

ولم يلتفتوا للقرآن الكريم المشحون بآيات الوعيد: مثل قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ فِي الْأَسْخَابِ وَالَّذِينَ لَا أَمَانَةَ لَهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) [النساء: 14]. وقوله تعالى: (لَيْسَ بِأَمَانَتِي كُمْ وَلَا أَمَانَتِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) [النساء: 123].

وقوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) [المطففين: 13-16].

وقوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزلزلة: 7-8]. وآيات أخرى مشابهة يطول المقام بحصرها.

كل تلك الآيات لا يريدونها أصحاب مشروع استعباد الأمة؛ لأنهم يريدون نعاجاً وكباشاً مخصية؛ فلا بد من قلع الأنياب، وتقليم الأظفار لكي يتصرف الولاة الظلمة بحرية وأمان، كما يتصرف الذئب مع الغنم.

وعندما تدمن الأمة الإسلامية على عيش الذل في الداخل فهي أمام العدو الخارجي أقل وأذل؛ ولا أدلّ على ذلك من انهزام جميع الجيوش العربية أمام إسرائيل، وما نشاهده من إمعان الصهاينة في إذلال الأمتين العربية والإسلامية، وهذه إسرائيل دكّت لبنان في تموز عام 2006م، والأُمّـتـانِ على كراسي المتفرجين، ما عدا بعض الأحرار (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ°)، لا بل ذهب بعضهم إلى التوسل إلى إسرائيل بأن تتفضل بمواصلة القصف والحرب حتى يُقضى على حزب الله الشيعي البطل.

ولمّا انهزمت الصهيونية والصليبية المتحالفة معها، واعترفوا بالهزيمة تبارى تلاميذ مدرسة الذلة والمهانة في التعبير عن الكبت الذي لحق بهم، ومرارة الانتصار المشرف الذي سحق نفوسهم، فقالوا: لم يحقق المجاهدون أي نصر، وظلوا يرددون: بأن المقاومين المجاهدين هم المسئولون عن خراب لبنان. أما أمريكا التي كانت ترسل القنابل الفتاكة والصواريخ المدمرة حديثة الصنع، فإنما هي بلد ديمقراطي مدني، ودولة حضارية، وقنابلها شديدة الفتك إنما هي بمثابة الدواء والغذاء، ومن حقها أن تحمي حليفتها اليهودية. وأما العريضة الصهيونية فليست سوى دفاع عن النفس. والشيء المدان والموسوم بالإرهاب إنما هم المقامون للاحتلال، والرافضون لمنطق الإذلال؟!.

وها هي غزة حال كتابة هذه السطور تحترق، وآلات التدمير تقصفها من الجو والبحر والبر، وأصحاب عقيدة تحريم الخروج على الظالم هامدون جامدون محتنون، قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، وصار أصحاب السبت يعبثون بأصحاب الجمعة تقتيلاً، وهدما للبيوت على أهلها، والمساجد على المصلين، والمدارس والجامعات فوق رؤوس التلاميذ والمدرسين، ولم تسلم حتى المستشفيات وسيارات الإسعاف.

ولو أن الشعوب الإسلامية والعربية أزاحت حكامها، وامتلكت قرارها، وفتحت الطرق للمجاهدين، وانهاالت الصواريخ على الصهاينة من كل حذب وصوب، فمن المؤكد أنهم سيفرون ويهاجرون إلى البلاد التي أتوا منها.

لكن الجماهير عندما يحولها الحاكم إلى قطعان تلطم صدورها زاعقة: بالروح والدم نفديك يا بلعم، نفديك يا بلغم!!

إن السواد الأعظم لم يعد قادرا على التفريق بين عدو الله ووليها؛ نتيجة الأمية والجهل، والتضليل الإعلامي، والانخداع بنفاق من وضعوا على رؤوسهم عمائم، وأسبلوا في وجوههم لحى، وأمعنوا في التسبيح والتقديس لولي الأمر؛ ليملاً جيوبهم، وهذا الصنف من البشر مستعد للحس الأذى مقابل حفنة من المال، وهؤلاء هم المتبوؤن لكراسي رئاسة الجامعات، وإدارات المدارس، والأوقاف، والإعلام...الخ.

إن ثقافة مقاومة الظلم، وجهاد المنتهكين لحرمان الله ليست من ثقافة الموت، ولكنها ثقافة الحياة الكريمة، فلا خير في حياة يعيشها المرء مُنكَّسَ الرأس، مهذورَ الكرامة، منتهكَ الحقوق، يلتقط رزقه من فتات موائد المسرفين العابثين، ويكتفي بعظمة يسد بها فمه كما يفعل الضبع في بقايا فريسة الأسد، وكما تلتقط الغربان والرخم فضلات النسور.

إن الأمة الإسلامية منخنة بثقافة الدروشة، وصار لديها قناعة بأن الصابر على الذل والظلم في درجة أيوب، وأن الفقير يدخل الجنة قبل الغني بخمسمائة عام- مع احترامي الشديد للأحرار.

ولذلك صار لدينا فائض من الروايات المادحة للفقير والفقراء، ولا تستغرب أن تجد في كتب الحديث: باب فضل الفقر!

وشاع وذاع بين البسطاء أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما شبع من طعام قط، وكانت تمر الشهور ولم يوقد في بيت رسول الله نار، وأن أمهات المؤمنين ما كن يتقوتن بما يحفظ الحياة ويسد الرمق إلا من هدايا الجيران، وكأن أعظم خلق الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير قادر على توفير العيش الكريم-صانه الله-.

والخلاصة: فقد أبدع مؤسس الملك العضوض، واسع البلعوم، مندحق البطن أن يسد أفواه الجماهير ويزويها عن خيرات الأرض، وأن يُضَمَّ رِبَطُونَهَا فلا تستمتع بطيبات الحياة بأحاديث إلى رسول الله مسندة، وروايات من صحابة معتمدة، توجب على المسلم أن يعيش فقيرا ليكون من السعداء، فإن مات جوعا فهو من الشهداء، وثروات الأمة يعبث بها وحوش الظلم، ونسور الوحشية الذين لا يرقبون في مؤمن إلاّ ذمة.

لقد كان العراق في مفهوم ملوك بني أمية ومن بعدهم بستان قريش، فلا حرج على خالد بن عبد الله القسري أن يتقاسم ثروة بلاد النهرين، وخيرات أرض الرافدين مع ما يسمى بالخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان، ولا غرابة أن يتذمر والي خراسان من مطالبة الخليفة له بإرسال الجبايات إليه فيقول: إن خراسان لا تكفي مطيخي!

كيف تسد ثروات المشرق والمغرب حاجة خليفة لديه أربعة آلاف جارية، ولعله يمتلك عددا مثلهم من الولدان؛ كما يحكى ذلك عن المتوكل العباسي، وهناك الندماء والمغنون والشعراء والمناقون وأمرء

البلاد من الأتراك والأكراد والسلاجقة، وهلم جرا.

وهناك أسرة الخليفة، وأولياء العهد، وقضاة الجور، وعلماء السوء إلى آخر مسلسل العبث والمجون.

ولقد مر أحد أئمة آل البيت بأرملةٍ تُلقت النوى والحصرم، فسألها عن حالها، فأخبرته عن فقرها، وأنها تعول بناتها بعد ممات زوجها، فلا تجد سوى ما يُلقَى من البيوت، فدمعت عيناه، وقال: أنت وأمثالك يحملنني على الخروج على صاحب هذا القصر، الذي يعطي المغنية مائة ألف، فسأخرج وأقتل.

إننا أمّامَ تَحَدٍ صعب، وتركه ثقيلة ألقت على القرآن الكريم ظلالاً كثيفة أثقلت كواهل المسلمين، وحجبت عنهم كثيراً من الحقائق.

وألحظ المثقفين المنصفين والعلماء الورعين عندما يدركون الحقائق مباينة لما هم عليه من التثقيف، ويحاولون الخروج على المؤلف، يواجهون صعوبات، وغمزا، ولمزا، وأحيانا تفسيقا وتبيديعا.

وقد واجه الشيخ محمد الغزالي رحمة الله عليه هجمة ضارية، ولا سيما في كتابه الرائع: السنة بين أهل الحديث والفقه، انتقد فيه روايات لا رأس لها ولا ذنب تخالف القرآن والعقل، فقامت عليه الدنيا ممن سماهم أصحاب الفقه البقري وبدو الصحراء.

ثانيا: الرسول قدوة، فلنجد ثقافة: اسمع وأطع وإن جُلِدَ طهرك...، ولنُفَتِّشْ عن ومضات العز والإباء في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعندما اشتد الضغط على أبي طالب ليُسَلِّمَ ابن أخيه رسول الله فقال: يا ابن أخي ارفق بي وبنفسك، فظن (صلى الله عليه وآله وسلم) أن عمه خاذله، فقال قولته الشهيرة التي وقف لها التاريخ على رجليه إحتراماً لها: «يَا عَمَّ وَالْوَالِدِينَ وَلَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَأَخَذَتْ عَيْنَايَ نُجُومَ سَمَاءٍ مُنِيرَةٍ» [17]، فانبهر عمُّه الكريم لهذه العزيمة الحديدية، والإرادة الفولاذية، والبسالة النادرة، والشجاعة الفائقة، فتدفقت في عروقه الحمية والنخوة، وقال: يا ابن أخي قل ما شئت، وعاد من شئت، وصادق من شئت، فوالله لن أسلمك لشيء أبدا. هذه هي سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه هي همته.

له هم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر

هل سمع أحدكم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فَرَّ من معركة؟ أو تزحزح في مواقف الخطر الشديد؟ إن أشجع الخلق علي بن أبي طالب يقول: كنا إذا حمي الوطيس، واشتد البأس نلوذ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد وَرِثَ من الرسول: نهجه كراماً أصحابه وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وبنوه.

ثالثا: القدوة في سيرة أهل البيت عليهم السلام:

أما في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلى فارس الإسلام المؤمن، وصنديدها المقدم، وحمل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقارعة الباطل بسنانه ولسانه حتى لقي شهيدا، وأوصى بنيه وعلى رأسهم سيدي شباب أهل الجنة قائلا لهما خاصة: «كونا للظالم خصما، وللمظلوم عونا» [18]، فما خيّرنا طنه بل شمرا تشمير أبيهما، وسارا على درب جدهما وأبيهما، وقادا قافلة الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وحفزا آل علي وبنو هاشم وشيعة آل البيت للوقوف في وجه الظلم، والخروج على الظالم مهما كان الثمن، فكانوا بحق قلب المسلمين النابض حين أراد الملك العضوض أن يعيشوا عبدا يسمعون، ويطيعون، ويخضعون الأموال للطاغية، وولي عهد الطاغية؛ ففضى الحسن بالسهم، وفضى الحسين مع أهله في واقعة كربلاء، ونهض بعد حين حفيد الحسين الإمام زيد بن علي، وتبعه ولده الإمام يحيى الذي أنشده أبوه وهو يلفظ روحه الطاهرة بلسان المقال أو الحال:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد *** من أحب الحياة عاش ذليلا

كن كزيد فأنت مهجة زيد *** واتخذ في الجنان طلا ظليلا

لقد أوصاه أن لا يتوانى في جهاد الظالمين، وقد فتح زيد رضوان الله عليه طريق الشهادة لقافلة الأمة الهداة من آل البيت، فتتابعوا باذلين مهجهم، رافعين راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصادموا كل جبار عنيد، وبذلوا في نصرة المظلومين حياتهم، وباعوا نفائسهم ونفوسهم، واستخفوا بالقتل والتنكيل والتشريد، لم يرعبهم جبروت أبي الدوانيق، ولا هزمتهم وحشيتهم وقسوته، ولا فوّت في أعضادهم ظلمة سجنه تحت الأرض، بل أيقنوا أن ذلك قليل في نيل رضى الله، وما يجب عليهم من معاداة أعدائه، وكانت أعينهم شاخصة إلى أعالي الجنان، وكان عليهم أن يقدموا مهر الجنة، وليس بعد الفرائض أغلى من مقاومة الطغاة المستبدين، فلا نامت أعين الجبناء. ألم يقل عميد آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليّ (عليه السلام): والله لا ينال رضى الله من الطفل الرضيع بثدي أمه، وما أبالي أدخلت على الموت أم خرج الموت إلي. هذه هي حياة الأحرار، وتلك هي نفوسهم ولهجتهم ومنهجهم وحياتهم.

وبهذه الثقافة تستعيد الأمة هويتها، وعلى دربهم تجد الأمة كرامتها.

([1]). www.almahatwary.org

([2]). مسلم 3/1481 رقم 1855، باب خيار الأئمة وشرارهم، والبيهقي 8/158، والطبراني في الكبير 18/63 رقم 116، 117، وأبو يعلى 2/473 رقم 1300، وصحيح ابن حبان 10/449 رقم 4589، وأحمد بن حنبل 4/ 56 رقم 11224، وفيه: «يكون عليكم أمراء تطمئن إليهم القلوب، وتلين إليهم الجلود، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب، وتقشعر منهم الجلود» فقال رجل: أنقاتلهم يا رسول الله، قال: «لا ما أقاموا الصلاة» 16، 117، وأبو يعلى 2/473 رقم 1300، وصحيح ابن حبان 10/449 رقم 4589، وأحمد بن حنبل 4/ 56 رقم 11224، وفيه: «يكون عليكم أمراء تطمئن إليهم القلوب، وتلين إليهم الجلود، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب، وتقشعر منهم الجلود» فقال رجل: أنقاتلهم يا رسول الله، قال: «لا ما أقاموا الصلاة».

([3]). ينظر: الاستيعاب 4/114 رقم 2750، وأسد الغابة 5/420 رقم 5475، وطبقات ابن سعد 6/24، ومروج الذهب 3/79، والإصابة ترجمة رقم 9167.

([4]). مسلم 3/1475 رقم 1847، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وأبو دواد 2/496 رقم 4244، باب ذكر الفتن ودلائلها، وفيه: «إن كان الله تعالى خليفة في الأرض فضره طهره وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاص بجذل شجرة» ، والبيهقي في السنن 8/157، وفي شعب الإيمان 6/62 رقم 7051، والطبراني في الأوسط 3/190 رقم 2893، ومصنف عبدالرزاق 11/341 رقم 20711، ومصنف ابن أبي شيبة 7/477 رقم 37113، ومصنف أحمد بن حنبل 9/112، 113 رقم 23485-23489، وفيه: «فألزمه وإن نهك جسمك، وأخذ مالك، فإن لم تره فاهرب في الأرض ولو أن تموت وأنت عاص بجذل شجرة»، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین 4/502. وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الذهبي.

([5]). أخرجه مسلم عن وائل بن حجر 3/1474 رقم 1846، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، والترمذي 4/488 رقم 2119، والطبراني في الكبير 7/40 رقم 6322، 22/16 رقم 20، ص 442 رقم 634، والبيهقي في السنن 8/158، 188.

[6]. مسلم 3/1480 رقم 1854، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وأبو داود 2/655 رقم 4760، والترمذي 4/485 رقم 2265، والطبراني في الكبير 23/330 رقم 760، وأحمد بن حنبل 10/181 رقم 26590، ومسند أبي يعلى 12/414 رقم 6980، ومصنف عبد الرزاق 11/330 رقم 20681، والبيهقي في السنن 3/367، 8/158، ومصنف ابن أبي شيبة 7/469 رقم 37296.

[7]. مسلم 3/1481 رقم 1855، باب خيار الأئمة وشرارهم، والبيهقي 8/158، والطبراني في الكبير 18/63 رقم 116، 117، وأبو يعلى 2/473 رقم 1300، وأحمد بن حنبل 4/56 رقم 11224، وفيه: «يكون عليكم أمراء تطمئن إليهم القلوب، وتلين إليهم الجلود، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب، وتقشعر منهم الجلود» فقال رجل: أنقاتلهم يا رسول الله، قال: «لا ما أقاموا الصلاة»

[8]. البخاري 6/2588 رقم 6645، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها، مكرراً، ومسلم 3/1477 رقم 1849، وأحمد 1/590 رقم 2487، والطبراني في الكبير 12/160 رقم 12759، ومسند أبي يعلى 4/234 رقم 2347، والبيهقي في السنن 8/157.

[9]. البخاري 6/2588 رقم 6647، ومسلم 3/1469 رقم 1709، والبيهقي 8/145، وصحيح ابن حبان 10/428 رقم 4567، وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عبادة» قلت: لبيك، قال: «اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومكرهك وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك، إلا أن تكون معصية الله بواحا».

[10]. البخاري 3/1318 رقم 3408، باب علامات النبوة، ومسلم 3/1472 رقم 1843، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، وابن حبان في الصحيح 10/447 رقم 4587، والطبراني في الأوسط 7/73 رقم 6896، وأبو يعلى 9/88 رقم 5151، والبيهقي 7/465 رقم 37265، وأحمد بن حنبل 2/27 رقم 3640، 3641.

[11]. مسلم 1/69 رقم 49، والترمذي 4/408 رقم 4173، وأبو داود 1/677 رقم 1140، وابن ماجه 1/1330 رقم 4013.

[12]. مسند الإمام زيد ص 420.

[13]. أخرجه الإمام أحمد بن عيسى في الأمالي (رأب الصدع) 3/1588 رقم 2661، والإمام الهادي في الأحكام 2/540، وأمالي المرشد بالله الخميسية 2/228، وأبو داود 2/514 رقم 4344، وابن ماجه 1/1329 رقم 4017.

[[14]]. أخرجه الحاكم في المستدرک 3/195.

[[15]]. أمالي المرشد با 2/228، أبو داود 4/514 رقم 4344، والترمذي 4/409 رقم 2174، وابن ماجه 1329/1 رقم 4011، والطبراني في الكبير 8/292 رقم 8081، ص 281 رقم 8080 بلفظ: «أحب الجهاد».

[[16]]. أحمد بن حنبل 1/278 رقم 1094 عن علي عن النبي. وروي أيضا عن الحكم بن عمرو الغفاري.

[[17]]. المصابيح ص 183، والبداية والنهاية 3/63، وابن هشام 1/285، وتاريخ الطبري 2/326، وعيون الأثر 1/189، والسيرة لابن كثير 1/463، 474، ودلائل النبوة للبيهقي 2/63 رقم (495)، والروض الأنف 2/6.

[[18]]. الأحكام في الحلال والحرام 2/524، ونهج البلاغة ص 613، والمختار من كتب أمير المؤمنين ووصاياه رقم 74.